AL-QALAM International Online Journal of Arabic Language Studies
Faculty of Islamic Studies, National University of Malaysia
https://www.ukm.my/alqalam/
Vol. 2 (2022)

الشاعر الأردني أيمن العتوم ومفهومه في أدب المقاومة

أيدا حياتي بنت محمد سندي[١]، نور سفيرة لوبيس سفيان[٢]

[٢،١]قسم اللغة العربية وآدابها، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

ملخص: قد ارتبط أدب المقاومة خاصة في الشرق الأوسط بشكل وثيق باسم فلسطين، وهو مرآة الألم واضطهاد شعبها. يهدف هذا البحث إلى إلقاء نظرة على حياة شاعر أيمن العتوم وأعماله في الحياة عامة باعتباره أحد أهم الشعراء في الأردن. ومن جهة أخرى يلقي الضوء على مفهوم أدب المقاومة عنده. وتلاحظ الباحثتان أن له إنتاجات أدبية قيمة ومعظمها له صلة وثيقة بفكرة الصمود والمقاومة وتجسيد ما حلّ بالبلدان الإسلامية خاصة فلسطين المحتلة من نكبات وثورات. وقد اعتمدت الباحثتان على المنهجين: الوصف والتحليل، إذ تقومان بعرض نبذة عن حياة الشاعر في بداية الدراسة قبل القيام بتحليل مفهومه في أدب المقاومة للوصول إلى النتائج المرجوة، وقد توصل البحث إلى نتائج منها: أن ثقافة أيمن العتوم الدينية قد بدأت تتسرب إلى شخصيته منذ صغره، حيث تربى في أسرة تهتم بثقافة الدين. فحظيت قضية فلسطين على اهتمامه لما لها من مكانة في نفوس المسلمين، كما عالج قضية المسلمين خارج حدود البلاد العربية. وتجد الباحثتان أن أدب المقاومة عند أيمن العتوم نوع من الأدب الذي يقف ضد المحتل الذي اغتصب الأرض ولا محصورا على فلسطين فحسب، بل هو أدب عالمي لا ينتمي لأي بلد أو أمة معينة؛ فكلما كان هناك حرب واضطهاد، ستكون هناك مقاومة في جميع المجالات.

الكلمات المفتاحية: أدب المقاومة، أيمن العتوم، فلسطين، المحتل، اضطهاد.

Abstract: Resistance literature, especially in the Middle East, has been closely associated with the name of Palestine, which mirrored pain and oppression of its people. This research aims to highlight the life and works of the poet Ayman Al-Atoum in general, as he is one of the most important poets in Jordan. The researchers note that he has valuable literary productions, most of which are closely related to the idea of steadfastness and resistance, and the embodiment of calamities and revolutions that befell Islamic countries, especially in the occupied Palestine. The methodology employed in this research are mainly description and analysis, as they present an overview of the poet's life at the beginning of the study. Then, his concept was analysed in the literature of the resistance in order to reach the desired results. The result of this research

illustrated Ayman Al-Atoum's religious culture that began to seep into his personality from a young age. He was raised in a family concerned with the culture of religion hence the issue of Palestine's status attracted his attention since it is in the hearts of the Muslims. Thus, resistance literature to Ayman Al-Atoum not only limited to the Palestine, but also applied to other colonized countries. As such this literature is not limited to specific areas or nations but have global effect. Wherever there are wars or colonization in this world, there will always be resistance in every aspect not only for literature.

Keywords: Resistance, Resistance literature, Colonization, Ayman Al-Atoum, Palestine.

المقدمة

ازدهرت دراسة أدب المقاومة ازدهارا ملموسا في الآونة الأخيرة، واهتم الأدباء العرب بهذا المجال اهتماما بالغا، فقد أصدر جلّهم كتبا تحمل عناوين تعبر عن ذلك، ونذكر على سبيل المثال: "أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨-١٩٦٦" (١٩٦٦م)، و"الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (١٩٤٨-١٩٦٨)" (١٩٦٨م)، وهما لغسان كنفاني، و"أدب المقاومة" (١٩٧٠م) لغالي شكري، و"محمود درويش شاعر الأرض المحتلة" (١٩٧١م) لرجاء نقاش، و"الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة" (١٩٧٩م) لصالح خليل أبو أصبع .

أيمن العتوم شاعر أردنيّ عُرفَ في بداية الأمر شاعر، ومن ثَمَّ روائيّ فله العديد من الدواوين الشعرية التي تتحدث عن حب الوطن وما يجري في البلاد العربية خاصة في فلسطين وسوريا. وهو من أكبر شعراء المقاومة، بل ذاق مرارة السجن في سبيل الدفاع عن الوطن. وقد أنتج خلال فترة سجنه أعمالا أدبية تحمل في طياتها على ملامح المقاومة. وله إنتاجات أدبية قيمة ومعظمها له صلة وثيقة بفكرة الصمود والمقاومة وتجسيد ما حلّ بالبلدان الإسلامية خاصة فلسطين المحتلة من نكبات وثورات.

وقد اتخذ هذا الشاعر القضية الفلسطينية موضوعا رئيسا في نتاجه الشعري، فكتب عنها بوجدان صادق، بل ظهرت شخصيته الثائرة من خلال أشعاره التي تدعو إلى المقاومة والثورة ضد الاحتلال. وانطلاقا من هذا الصدد، ترى الباحثتان أن هذا النوع من الأدب يحتاج إلى دراسة تبين تجربة أيمن العتوم الحياتية والشعرية ومفهوم أدب المقاومة عنده، فمن الضروري إيجاد المزيد من النماذج المعاصرة ودراستها، وهذا ما يثري الأدب في هذا المضمار خصوصا، وما يثري التراث الأدبي عموما.

نبذة عن حياة الشاعر أيمن العتوم

هو أيمن علي حسين العتوم، ولد في ٢ مارس ١٩٧٢م بمدينة جرش في المملكة الأردنية الهاشمية[١]. أبوه الدكتور علي العتوم أحد القيادات البارزة في الحركة الإسلامية بالأردن (الإخوان المسلمين) وأيضا أستاذ للّغة العربية في جامعة اليرموك[٢] . أما والد زوجته فهو من علماء الشريعة، وهذا ما زاد أيمن علما وثقافة، فالأجواء العلمية والبيئة الأسرية المثقفة كان لها أثر كبير في حياته[٣]. ولأبيه الدور الأكبر في تحبيب اللغة العربية وآدابها إليه منذ نعومة أظفاره[٤]، حيث كان يجذبه إلى الشعر، فيقرأ عليه الأشعار في حب الوطن، ويحفظ مئات الأبيات[٥] من قصائد الشعر الطوال ليوسف العظم ولهاشم الرفاعي ولغيره من الشعراء الكبار،[٦] ومن المتوقع أن يحذو أيمن العتوم حذو أبيه ويقتدي به سلوكا وتصرفا.

كان أيمن العتوم منذ صغره يلقي الشعر كثيرا، ففي عام ١٩٩٦م، ألقى قصيدة هجا فيها النظام، وعلى إثرها سُجن قرابة العام، واتُهم بأنه ضد الوطن، فحُكم بمحكمة عسكرية ثم سار إلى سجن "الجويدة"[٧]. وهذه الفترة تزامنت مع انتفاضة الخبز عام ١٩٩٦م بالأردن، عندما ارتفعت أسعار الخبز فثار معه الأحزاب من الناس ثورة حتى سجن الكثير منهم خلال هذه المظاهرات[٨].

ومع ذلك، فإن السجن لم يمنع أيمن من نضاله، فلم يهدأ باله إلا بعد ما كان يعبّر عما في داخله من شعور، فيقول: "كأنّ الكاتب يحمل آلام الأفكار الثقيلة في حسّه ووجدانه، وتظلّ تهيج به وتُقلقه، فإذا ولدها أصابته

---

[١] أحمد الجدع، **معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين**، (عمان: دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ج١، ص١٧٢.

[٢] **موقع Arageek**، **من هو أيمن العتوم**، الاسترجاع من https://www.arageek.com/bio/ayman-otoum في ٢٠٢١/٧/٩م.

[٣] أحمد الجدع، **معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين**، ص١٧٢.

[٤] محمد فايز، قصي. (٢٠١٩م). صورة اليهود في الشعر الأردني المعاصر (ديوان "خذني إلى المسجد الأقصى" لأيمن العتوم أنموذجا). المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية، العدد السابع عشر. الاسترجاع من https://www.mecsj.com/ في ٢٠٢٠/١١/٢٢

[٥] هالة مفيد هلال حجي، **الصورة الشعرية عند أيمن العتوم دراسة تحليلية**، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الغزة: الجامعة الإسلامية، ٢٠١٩م)، ص٨.

[٦] موقع **المركز الفلسطيني للإعلام**، "الشاعر الدكتور أيمن العتوم يتحدث عن أدب المقاومة والمشهد الشعري الثائر"، الاسترجاع من https://www.palinfo.com/news/2008/7/14/ في ٢٠٢١/٧/١٦م.

[٧] جليلة شريفي، ورسول بلاوي، ومسلم زماني، "دوافع الرفض وأنماطه عند الشاعر الأردني أيمن العتوم"، **مجلة آداب جامعة ذي قار**، (ذي قار: جمهورية العراق، العدد ٣٠، القسم الأول لسنة ٢٠١٩م)، ص٢٤٢.

[٨] أيمن العتوم، **يا صاحبي السجن**، (عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٣م)، ص٧٦.

الراحة الكبرى... أليست الكتابة ولادة؟!!"[٩] فكتب وعبّر في روايته المشهورة "يا صاحبي السجن" عن تجربة المعتقل السياسي التي ذاق مرارتها في السجون الأردنية[١٠]. ونشر بعد ذلك أول ديوان له بعنوان "نبوءات الجائعين" حيث جمع فيه قصائده التي كتبها في السجن، وهذه القصائد تحمل الرفض السياسي والاجتماعي[١١]. ولهذا نجد أن جُلّ قصائده ورواياته تتمحور حول محنة السجون، وتتركز في بعض الأحيان على مواضيع إنسانية على حد سواء. وكانت فترة اعتقاله في السجن (بين ١٩٩٦م-١٩٩٧م) تمثل نقطة البداية لرحلته الأدبية في كتابة الروايات.

وقد ذكر أيمن العتوم في روايته "يا صاحبي السجن" طريقته في تهريب هذه الأبيات إلى خارج السجن، لأن الكتابة كانت ممنوعة داخله، فذكر دور ابن عمه عندما زاره في السجن فقال: "كنتُ قبل أيّام قد كتبتُ بعض القصائد، وأردتُ أن تصل بأمان إلى أهلي خارج السجن، وألّا تظلّ هنا عرضة للتفتيش والمصادرة. فأخبرتُه ما إذا كان يستطيع أن يأخذ منّي هذه القصائد. فقال لي: إنّ كاميرات المراقبة مسلّطة عليه الآن في هذه اللحظة، وإنه سيحاكم لتعاونه مع مُجرم!! وربما يفقد وظيفته الأمنية."[١٢]

فيقترح الشاعر فكرة على ابن عمه كي يتظاهر أمام الكاميرات بأنه يسلمه بعض النقود ليصرفها. فطوى الشاعر الأوراق التي دوّن فيها شعره لتظهر وكأنه في حجم الأوراق النقدية، ومد يده إلى الجيب الخلفي، وفعل ابن عمه الشيء ذاته، فأخرج محفظته، وقلّبها بأسلوب ذكيّ. وهكذا تمت العملية تحت عدسات كاميرات المراقبة على أنّها تبادل لأوراق مالية. وكانت تجربة السجن من أسباب لميله إلى أدب السجون، فكتب روايات في هذا المجال منها: "حديث الجنود"، و"اسمه أحمد"، و"طريق جهنم"[١٣]. فكان قلمه سببا لدخوله السجن، ولكنه لم يندم على ذلك ما دام مدافعا عن الحق. ولعل تجربة السجن التي عانا منها أيمن تعتبر أصدق تجربة شعورية صاغها على هيئة أبيات شعرية تنبعث من بين ثناياه، ونثرا يتمثل في أعمال روائية

[٩] المرجع نفسه، ص٥٤-٥٥.

[١٠] محمد فايز، قصي. (٢٠١٩م). صورة اليهود في الشعر الأردني المعاصر (ديوان "خذني إلى المسجد ا لأقصى" لأيمن العتوم أنموذجا). المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية، العدد السابع عشر. الاسترجاع من https://www.mecsj.com/ في ٢٠٢٠/١١/٢٢.

[١١] جليلة شريفي، ورسول بلاوي، ومسلم زماني، "دوافع الرفض وأنماطه عند الشاعر الأردني أيمن العتوم"، **مجلة آداب جامعة ذي قار**، (ذي قار: جمهورية العراق، العدد ٣٠، القسم الأول لسنة ٢٠١٩م)، ص٢٤٢.

[١٢] أيمن العتوم، **يا صاحبي السجن**، (عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٣م)، ص١٢٨-١٢٩.

[١٣] أيمن العتوم، **يا صاحبي السجن**، ص١٢٩.

تصوّر تجربته الذاتية في السجن، وكذلك تجارب الآخرين الذين عانوا من مرارة هذه التجربة، فلجأ أيمن إلى كتابة الشعر، فيقول في قصيدة "مشاعر في هوى الأردن":

مِـنْ عَتْمَـةِ السِـجْنِ بَـلْ مِـنْ نُـورِ إِيْمَـانِي	وَمِـنْ دِمَـائِيَ بَـلْ مَـنْ نَـزْفِ أَوْطَـانِي
كَتَبْـتُ شِـعْرِيَ يَـا أُمِّـي عَلَـى وَرَقٍ	أَعْدَدْتُـهُ فِـي غَـدِ الأَيَّـامِ أَكْفَـانِي[١٤]

صرّح أيمن العتوم في مقدمة ديوانه "نبوءات الجائعين" عن تجربته في السجن قائلا: "إنّ القصيدة التي تخرج عن القلب لا منه؛ ليست صادقة. السجن أسدى إليّ نعمةً لم أكنْ لأحوزها لولاه؛ إنه مسح على قلبي فأحاله بحرا من الحنان والحنين والرّضى، واكتشف سماء الحب فيه، وعلّمني أن أكون مستمعا جيّدا، جعلتُ قلبي صفحةً بيضاء واستمعتُ لهم جميعا.[١٥]" يظهر من خلال أقواله السابقة أن الأوضاع التي يمر بها الشاعر، جعلته ينطق بقلمه قبل لسانه، ولهذا لم تلبث أن تحوّلت تلك التجربة إلى أعمال فنية: شعرا ورواية، فصار السجن المكان الضيق الذي يعطي الشاعر متسعا من الخيال والتصور، فيحمل ما في قلبه، ويسجّله في شعره ليبقى شاهدا وخالدا مدى العصر، وهكذا كانت التجربة الشخصية، والظروف، والعوامل السياسية، والاجتماعية عند الشاعر هم الأساس في تحريك قلمه الشعري.

تعليمه و أفكاره

تلقى أيمن العتوم تعليمه الثانوي في إمارة عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة سنة ١٩٩٠م، ثم التحق بجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، وحصل منها على درجة البكالوريوس في الهندسة المدنية عام ١٩٩٧م[١٦]. وهو مؤسس للعديد من النوادي والروابط الشعرية، وشارك في الكثير من الندوات والمهرجانات والأمسيات الشعرية داخل الأردن وخارجها[١٧]. فقام بتأسيس ((النادي الأدبي)) في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية سنة ١٩٩٤م، وكان عضوا في هيئته الإدارية (١٩٩٣م-١٩٩٦م) وأسّس أيضا ((لجنة الأدب)) المنبثقة عن اتحاد الطلبة في الجامعة نفسها، ثم ترأسها ما بين سنة ١٩٩٥م-١٩٩٧م. وكان أحد

[١٤] أيمن العتوم، **نبوءات الجائعين**، (عمّان: دار الفارس للنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠١٦م)، ص٤٥.

[١٥] أيمن العتوم، **نبوءات الجائعين**، ص٨.

[١٦] أحمد الجدع، **معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين**، ص١٧٢.

[١٧] هالة مفيد هلال حجي، **الصورة الشعرية عند أيمن العتوم دراسة تحليلية**، ص٥.

مؤسسي جمعية ((الأدباء المهندسون)) المنبثقة عن نقابة المهندسين الأردنيين. وهو عضو في رابطة الكتّاب الأردنيين، ونقابة المهندسين الأردنيين، ونقابة المهندسين المدنية الأمريكية (ASCE)[١٨].

وكان تعليمه الأول في مجال الهندسة، إلا أن حبّه للّغة العربية وسحرها جذبه لدراسة اللغة العربية، ثم حصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية عام ١٩٩٩م من جامعة اليرموك. وأسّس ((لجنة الأدب)) المنبثقة عن اتحاد الطلبة في نفس الجامعة نفسها، وترأسها من سنة ١٩٩٧م-١٩٩٩م. ثم أكمل مسيرته الأكاديمية في اللغة العربية وحصل على درجة الماجستير عام ٢٠٠٤م من الجامعة الأردنية، واستمر يشق طريقه نحو اللغة العربية حتى حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ٢٠٠٧م[١٩].

كان أيمن العتوم مهندسا تنفيذيا في مواقع إنشائية من عام ١٩٩٧م-١٩٩٨م. ثم اتجه بعد ذلك للعمل في تخصصه الثاني فعمل مدرسا للّغة العربية في العديد من المدارس الأردنية، فعلى سبيل المثال أكاديمية عمان، ومدارس الرضوان، ومدرسة اليوبيل، ومدرسة عمان الوطنية، ومدارس الرائد العربي من عام ١٩٩٩م-٢٠١٤م[٢٠]. ثم عمل مقدما لبرنامج (ليل وبحر) وهو برنامجٌ أدبي يتم تقديمه على أثير إذاعة (حياة) ويتضمن فقرات أدبية متنوعة[٢١].

وقد صرح أيمن العتوم بأنه فضّل بناء أشعاره ورواياته مكتسبا الظروف الاجتماعية التي يعيشها، ولا سيما ما يرتبط بالمقاومة، ومن هذا المنطلق كان يصوّر في شعره الأنظمة الاجتماعية السائدة، فتعرّض لقيم ومبادئ وأخلاق بعض النواب الذين لا يهتمون بدورهم في خدمة الشعب، ولم يلتفتوا إلى ما كان يعانيه المجتمع من مشاكل وقضايا، بل استعملوا المنصب وسيلة لتحقيق أهدافهم الشخصية، حتى عمّ الفساد والجوع والفقر في البلدان العربية[٢٢]. فيتأثر الشاعر بما يجري حوله من أحداث، وهذه من العوامل التي ساعدته على صقل موهبته الشعرية.

وبعبارة أخرى، تظهر جلّ روايات أيمن العتوم حقائق المجتمع العربي، وسياساتهم، وكذلك الحركات الثقافية القاسية التي شهدتها المجتمعات العربية، لأن الناس مسؤولون عمّا يجري في مجتمعاتهم. فيتخذ

---

[١٨] ناصر الدين الأسد وآخرون، **معجم الأردنيين في العصر الحديث**، (عمان: وزارة الثقافة، ٢٠١٤م، ط١)، ص٤٢.

[١٩] **موقع Arageek، من هو أيمن العتوم**، الاسترجاع من https://www.arageek.com/bio/ayman-otoum في ٢٠٢١/٧/٩م.

[٢٠] **موقع Arageek، من هو أيمن العتوم**، الاسترجاع من https://www.arageek.com/bio/ayman-otoum في ٢٠٢١/٧/٩م.

[٢١] هالة مفيد هلال حجي، **الصورة الشعرية عند أيمن العتوم دراسة تحليلية**، (البحث استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الأداب، الغزة:الجامعة الإسلامية، ٢٠١٩م)، ص٥-٦.

[٢٢] جليلة شريفي، ورسول بلاوي، ومسلم زماني، "دوافع الرفض وأنماطه عند الشاعر الأردني أيمن العتوم"، **مجلة آداب جامعة ذي قار**، (ذي قار: جمهورية العراق، العدد ٣٠، القسم الأول لسنة ٢٠١٩م)، ص٢٥١.

أيمن من الشعر وسيلة فاعلة لإثبات كيانه. فكان اهتمامه منصبا على قضايا المجتمع نظرا لرقة مشاعره الصادقة، ورهافة حسّه التي جعلته يخوض في عمق الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية والحزبية والسياسية للبلد الذي يعيش فيه، فيتفاعل مع الصراعات الاجتماعية بشكل إبداعي. يصور أيمن العتوم الظروف التي يعاني منها الوطن من الظلم فيقول:

آه كَمْ مِنْ صَرخةٍ يا أُمّتي	واسْتِغاثات جَرِيحٍ هي تُكْتَمْ
حَسِبُوا أَنّي سأَبْقى صامِتًا	قَدْ خَسِئْتُمْ، فأنَا لسْتُ بأَبْكَمْ
لِي لسَانٌ طائِلٌ يَحْبِسُنِي	وقصِيدٌ مُفْصِحٌ لَيْسَ بأَعْجَمْ[٢٣]

من الملاحظ أن أيمن العتوم لم يحدّد في شعره حبه لوطنه الأردن فقط، بل ركّز على سائر البلاد العربية الأخرى -ومن أهمها: فلسطين، ولبنان، والعراق، وسوريا- هو يرى أن كل قطر من أقطار البلاد العربية يحمل قضية مأساوية، فليست هناك أية حدود في شعره، فكل البلاد العربية وطنه، سواء كانت الأردن أو فلسطين أو لبنان أو العراق أو سوريا. فالوطن العربي الكبير تجمعه عقيدة ولغة واحدة، وأيمن كان يتألّم لما يشاهده في الأوطان العربية، ولهذا رفع صوته عاليا يشكو جرح البلاد، فقام بالمقاومة ورفض البطش والظلم الذي عمّ سائر البلاد في شعره، فيقول: "أليس كلّ بلاد العرب أوطاني؟"، بل كل بلاد العرب هي أوطانه[٢٤]. لهذا، لا غرو إذا اهتم بالقضايا العامة أكثر من القضايا الحزبية أو السياسية، فهي بشكل غير مباشر دفعته لاحقا نحو الانخراط في السياسة، ومن ثم حاول رسم صورة الآلام والمآسي المتعلقة بدولة لبنان في قصيدته المعنونة "لبنان يا وجه المآسي":

لبنانُ يا وجْهَ المآسي داميا	يا غَادةً أوْصالُها تتقَطّعُ
ضُرِبتْ عليكِ مِنَ الفِداءِ ضَرِيبَةٌ	عَنْ كُلّ أبناءِ العروبةِ تُدْفعُ[٢٥]

ويصوّر أيضا المصائب التي خيّمت على العراق في قصيدة "العراق الحر" فيقول:

آه بغدادُ ما السِّرُّ الذي	يَجْعَلُ الأَرْضَ مِنَ الطَّاغُوتِ أَكْبَرْ؟!
كُلَّمَا هُمْ حَرَّقُوهَا بِالصَّوَارِخِ	وبِالنَّيْرَانِ و(النّابُلْمِ) تَخْضَرْ

[٢٣] أيمن العتوم، **نبوءات الجائعين**، ص٩٢.

[٢٤] رسول، دوافع الرفض وأنماطه عند الشاعر الأردني أيمن العتوم، ص ٢٥٩.

[٢٥] أيمن العتوم، **خذني إلى المسجد الأقصى**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٩م)، ص٥٤.

يَـــا بِـــلَادَ الحُـــزْنِ والجُـــوعِ وقَامَـــاتِ	المآســـــِي والفَجيعِـــــيّ (المفَلْتَـــــرْ)[٢٦]

ومن هنا، يمكن القول إن النتاج الشعري والروائي لأيمن العتوم يعتبر مرآة لما مرّ به من أحداث مؤلمة تعكس للقارئ صورة موجزة لحياة شعب ذاق مرارة الحرب والحرمان والسجن، ولهذا فإن أدبه يدور غالبا حول محور أدب المقاومة[٢٧]. وانطلاقا من هذا الصدد، يعد من أبرز الشعراء المعاصرين الكبار الذين قاموا بتصوير القضية الفلسطينية على هيئة إنتاجات أدبية قيمة جُلّها تحمل صلة وثيقة بفكر الصمود والمقاومة، وتجسيد ما حلّ بالبلدان الإسلامية وخاصة فلسطين.

وعندما تأملت الباحثتان أوّل قصيدة من ديوان "خذني إلى المسجد الأقصى"، وجدتا أن الاحتلال الصهيوني كان لديه دافع قوي لأيمن العتوم لرفض اتفاقيات السلام، وسيطرة اليهود وتدنيسهم لمقدسات، ولهذا ترى الباحثتان أن الشاعر كان يحث على النضال والجهاد في أول قصيدة له من هذا الديوان فكان يقول:

لا تَـبْرحِ الأرضَ واحْـمِ الـقـدْسَ والـتَـحـمِ واقْبضْ على الجَمْر إنّ القَـابضِـين على	والـــنقشْ دمَـــاك علَـــى بوّابـــةِ الحـــرمِ جَمْـــرِ الـــبلادِ أضَـــاؤُوا عـــزّةَ الأُمـــمِ[٢٨]

ويقول في حب القدس:

الـقـدْس أَقـدَسُ مِـنْ روحٍ عـلـى جسـدٍ	فقــلْ لقُدسِــك: يــا روحِـي ويــا رحمـي[٢٩]

يرى الصديق بشير نصر في كتابه "وهج القناديل: قراءات في أدب الشاعر والروائي أيمن العتوم" أن "أيمن العتوم كاتب مهووس بالقراءة، القراءة الكاشفة عن العوالم الخفية المحجوبة وراء ظواهر المادة وحدود

[٢٦] المرجع نفسه، ص٧١.

[٢٧] كواري علي، "مظاهر أدب المقاومة في ديوان نبوءات الجائعين لأيمن العتوم"، Algerian Scientific Journal Platform 2019/(03)11م، ص٥٢.

[٢٨] أيمن العتوم، **خذني إلى المسجد الأقصى**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٩م)، ص٥.

[٢٩] المرجع نفسه، ص٦.

العقل. القراءة والمعرفة عند أيمن العتوم ليست مجرد متعة معرفية يطلبها كلما عنّ له ذلك، إنه طائر من طيور العطّار في (منطق الطير)."[٣٠]

ونظرا لارتباط حياة الشاعر بالمكونات الشعرية المختلفة ارتباطا وثيقا لدرجة أنه كان قادرا على شرح كل جزء من أجزائها بشكل مفصل. لذلك، لا غرو إذا رأينا أن القراء لكتاباته وجدوا أن مؤلفاته أقرب إليهم جراء أساليبه الكتابية التي استعرضت المواضيع في مصنفاته بطريقة مبسطة، وهذا دليل على إبداعيته وبراعته في تناول مضامين القصائد، ومواضيع الرواية التي تنبني على تجربته الذاتية، وملاحظاته الشخصية.

مكانته ومؤلفاته الأدبية

من الملاحظ أن أيمن العتوم بدأ يخطو خطواته الأولى في الإبداع والتفكير منذ أن كان في الصف الخامس الابتدائي، فتتضح ملامحه الشعرية في بداية كتابته حيث بدأ قرض الشعر المقفى غير الموزون، ولكن ليس على عروض خليل. وعندما وصل إلى الصف الثاني الإعدادي، قام بكتابة الشعر الموزون، وأول قصيدة كتبها كانت قصيدته عن الأمة فيقول فيها[٣١]:

ماذا أحدث أو أقول عن أمتي ذات الفصول
كانت بحارا في السخاء.. ضراغما إذ ما تصول
قد أغدقت من علمها وبعلها غيث هطول

وقد طُبع أدب أيمن العتوم بالطابع الإسلامي، فيميل أسلوبه في أسماء رواياته إلى أسلوب اللغة القرآنية، ويظهر ذلك بشكل جليّ في فصول رواياته، حيث يقوم باقتباس أسمائها من آيات القرآن الكريم، أو على الأقل على نهجها مثل "نفر من الجن" وكذلك "ذائقة الموت" وغيرها. يظهر على لغة أيمن أيضا التأثر

[٣٠] الصديق بشير نصر، **وهج القناديل: قراءات في أدب الشاعر والروائي أيمن العتوم**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٩م)، ص٤٦.

[٣١] موقع **المركز الفلسطيني للإعلام**، "الشاعر الدكتور أيمن العتوم يتحدث عن أدب المقاومة والمشهد الشعري الثائر"، الاسترجاع من https://www.palinfo.com/news/2008/7/14/ في ٢٠٢١/٧/١٦م.

بالثقافة الإسلامية بشكل عام وبالتراث بشكل خاص، فلديه مقدرة عالية على تنظيم إيقاع الشعر، كما أن لديه القدرة على هندسة المعمار الروائي، فهو المهندس اللغوي الشاعر[٣٢].

علاوة على ذلك، يبدو في أسلوب أيمن تأثره ببعض التراكيب اللغوية المعهودة في شعر المتصوفة ومنهم ابن عربي، والحلاج. فحاول من خلال تجربته الصوفية الاندماج في العالم والإبانة عن الحنكة الصوفية ليستوعب أحواله الصوفية فيختار الشاعر العالم الصوفي هروبا من الواقع الضيق والأليم للتخلص من المقاساة والعذاب[٣٣]. ومن الملاحظ أنّ شخصية الحلّاج من أكثر الشخصيات ظهورا في شعره، وله قصيدة في ديوانه "قلبي عليك حبيبتي" بعنوان "الحلاج" يقول فيها:

لا تَسْقِينِي الأَسْرَارَ يَا حَلَّاجُ	مَاذَا سَيَرْوِي البَحْرُ وَهْوَ أُجَاجُ؟!
أَوَمَا رَأَيْتَ اللهَ فِي رَحَمُوتِهِ	يَنْمِيهِ فِي عَيْنِ الحَبِيبِ زُجَاجُ
صُوفِيَّتِي أَنِّي أُقَابِسُ رُوحَكُمْ	فَتَفِرُّ مِنْ أَعْنَاقِيَ الأَوداجُ[٣٤]

يبدو على هذه القصيدة الأنفاس الصوفية، حيث يصدّرها أيمن بكلام للحلّاج، حتى تتبدّى ظاهرة في لغة مشحونة بالمعاني الوجدانية التي نجدها في لغة شعراء المتصوّفة. ولا شك أن القضايا الصوفية لأيمن خليط من الكشف الصوفي والإيمان القلبيّ والمنطق العقلي.

وفي الوقت نفسه، يظهر في شعر أيمن الرموز من بين الدين، والسياسة، والتصوف، والأدب، والتاريخ بصورة واضحة فصار توظيف الرمز تعبيرا عن أزمته النفسية والروحية. وكل هذه المصادر من التجربة الذاتية والشعرية التي اكتسبها عبر التعامل مع المكونات الشعرية المختلفة[٣٥]. فهو يلجأ إلى التشويق والغموض في استخدام الدلالات الرمزية في صوره الشعرية، بل كان قادرا أيضا على التعبير بلغة مباشرة

---

[٣٢] أمل يونس، **شعرية السرد في روايات أيمن العتوم**، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، غزة: الجامعة الإسلامية، ٢٠١٩م)، ص٢.

[٣٣] عباس يداللهي فارساني، "الأنماط التراثية في شعر أيمن العتوم (ديوان خذني إلى المسجد الأقصى نموذجا)"، (**دار المنظومة**-قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد جمران، الأهواز). المجلد١٠، العدد ٣٨، ٢٠١٩م، ص١٦٠.

[٣٤] أيمن العتوم، **قلبي عليك حبيبتي**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ط١، ٢٠١٣م، ص٦٢.

[٣٥] عباس يداللهي فارساني، "استدعاء الرموز في شعر أيمن العتوم"، **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، ج١١، العدد ٢٠ (٢٠١٩م)، ص ٦٤.

عن المشاعر الدفينة، والهموم الإنسانية المرتبطة بالقضية الفلسطينية التي شغلت باله، وهذا ما يدفع الناقد والقارئ إلى التدقيق للبحث عما وراء هذه الرموز من مفاهيم ومعاني.

ومن الرموز التي وردت بشكل واضح في أغلب دواوينه الشعرية هو (ميسون). فيقول أيمن العتوم مخاطبا محبوبته (ميسون) في قصيدة له "ويبقى العطر بعد الياسمين":

أميسونُ التي عاشَتْ كَرَمْزٍ	ولَمَّا يَنْتَهِي فِيْهَا جُنُوني
هِيَ الأَشْوَاقُ بَعْدكِ تَسْتَبِيني	وَأَنْثُرُهَا عَلَى جُدُرِ السُّجُونِ[٣٦]

لقد تعددت معانٍ (ميسون) في المعاجم العربية. حيث جاء في لسان العرب معنى ميسون بأنه: "اسم امرأة، وهي ميسون بنت بحدَلٍ الكلابية، والميسون: فرس ظُهير بن رافع شهد عليه يوم السرج."[٣٧]، وجاء في المعجم الوسيط أن ميسون: "الغلام الحسن القدّ والوجه"[٣٨]. فالعلاقة بين المعنى اللغوي لكلمة "ميسون" وبين ما أراد الشاعر التعبير عنه هو التعبير المجازي عن المحبوبة في خيالات الشاعر من ناحية الجمال والوجه الحسن، فربما قام باختيار هذا الاسم لما يحمله في طياته من الجمال والحسن، فيرمز به المرأة الجميلة ذات الأخلاق الحسنة التي تكون وطنا للرجل، وربما يكون أيمن قد تأثر بنزار قباني الذي تغزل بميسون وكان يقصد فيها دمشق في قصيدته الشهيرة (أتراها تحبني ميسون؟) التي يقول فيها[٣٩]:

أتراها تحبّني ميسون	أم توهّمتُ والنساءُ ظنونُ

يقول أيمن العتوم عن ميسون في قصيدته "كتبتُ فوق جِدار السجن" من ديوانه "نبوءات الجائعين": ((كنتُ أكتبها على جُدران زنازين المخابرات، وإن كان الذي يكتبها قلبي، وليس أصابعي، ولا الأقلام التي كانت مستحيلة الوجود، وفي الهواء كنت أرسم بعيوني طيفها...تلك التي لم تتذوّق طعم دمائي على أوراقي حتى الآن وأظنها لن تفعل ذلك يوما، لأن نفسيّتها امتزجتْ بعواصف التردّد... تلك ميسون...)).[٤٠] وبناء على أقواله السابقة، لم ترد لفظة "ميسون" باعتبارها امرأة شغف بحبها، بل كانت رمزا للوطن المحتلّ، فهي أعظم شيء يهتمّ به الشاعر. فحاول أن يعبّر عما أصابه حين فراقه لميسون لأن حياته أصبحت مقيّدة بعد غيابها،

[٣٦] أيمن العتوم، **نبوءات الجائعين**، (عمّان: دار الفارس للنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠١٦م)، ص٦١.

[٣٧] ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج١٣، ص٤٠٨.

[٣٨] إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م)، ص٨٧٠.

[٣٩] الصديق بشير نصر، **وهج القناديل: قراءات في أدب الشاعروالروائي أيمن العتوم**، ص١٠٩.

[٤٠] أيمن العتوم، **نبوءات الجائعين**، ص١٤.

وهذا في الحقيقة هو السجن النفسي. ويتسم الشاعر في هذا الديوان بطابع الرقة والحزن حيث تلقى ألوانا كثيرة من العذاب خلال عام اعتقاله. فعمد إلى توظيف هذه الشخصيات الأدبية ليسقطها على الواقع المحيط به فيستخدم هذه الشخصيات مع المواقف المشتركة بينهما.

بالإضافة إلى ذلك، تعد البيئة العربية ذات طابع خاص بالنسبة لأيمن العتوم، وخاصة الحيوانات المألوفة في هذه البيئة، فيقتبس من الصورة العربية للحيوانات. ولهذا يظهر أن الشاعر قام بشكل متكرر بتشبيه اليهود –بالحيوانات- وخاصة الذئب والأفعى[٤١]. فيصف مرارا وتكرارا واقع اليهودي في فلسطين بأنهم كالذئاب في الخداع والمراوغة والخيانة. أما الأفعى فهي ترمز إلى جانب الطبيعة الشريرة لسمّها وشرها. يقول في ذلك:

وَالحَالِمُون بِتَرْوِيضِ الذِّئابِ كَمَنْ	يُرَوِّضُ الذِّئْبَ فِي شَعْبٍ مِنَ الغَنَمِ
هِيَ الأَفَاعِي وَإِنْ أَغْرَاكَ مَلْمَسُهَا	فَلَيْسَ تَنْفُثُ غَيْرَ السُّمِّ في الدَّسَمِ[٤٢]

وزيادة على ذلك، قام الشاعر بتشبيه اليهود بأحقر حيوان في الإسلام، بل هو هجين بين وضاعة الخنزير ودسائس الأفعى، وهي صورة من الاحتقار المتعارف عليه في المجتمع العربي المسلم. فيقول الشاعر:

إنّ اليَهُودَ خَنَازِيرٌ مُؤَصَّلَةٌ	طِبَاعُهُمْ والْيَهُودِيَّاتُ حَيَّاتُ[٤٣]

هكذا استخدم الشاعر الرمز في صوره الشعرية، وقد تنوعت أسباب استخدامه لرمز عن غيره من الرموز وذلك ليثير انتباه المتلقي، ويخفي صوته باستخدامها وهروبا من واقعه المؤلم.

من ناحية أخرى، رأت الباحثتان أن أيمن العتوم يكثر في استعمال الألفاظ العربية القديمة التي قد يعود بعضها إلى الشعر الجاهلي، ومنها: شِلْو، والوَشل، والهّطل. ويوجد في الكثير من صوره معاني مقتبسة من الشعر القديم، وهذا يدل على تأثره باللغة العربية التي اكتسبها من دواوين العرب. حيث يقول:

الذِئبُ شَأنَكَ أن تُسَاقَ كَنَعْجَةٍ	أَفَكُنْتَ تَرْضَى أَنْ تُسَاقَ مع الغَنَمْ؟![٤٤]

[٤١] محمد فايز، قصي. صورة اليهود في الشعر الأردني المعاصر (ديوان "خذني إلى المسجد الأقصى" لأيمن العتوم أنموذجا). **المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية**، العدد السابع عشر، ٢٠١٩م. الاسترجاع من https://www.mecsj.com/ في ٢٠٢٠/١١/٢٢.

[٤٢] العتوم، أيمن. **خذني إلى المسجد الأقصى**، ص٧.

[٤٣] المرجع نفسه، ص١١٦.

[٤٤] أيمن العتوم، **قلبي عليك حبيبتي**، ص٥٠.

وهو مأخوذ من آخر بيت في لامية العجم للطغرائي:

قـد رشّــحـوك لأمـر لـو فـطِـنـتَ لـه	فاربــأ بنفســك أن ترعــى مــع الهمَــلِ[٤٥]

والنظر إلى مؤلفات أيمن العتوم العديدة، نجد أنه كان يحرص حرصا شديدا على أن يطهّر لغته من جميع العيوب التي قد تعتريها، وينزهها عن النقائص التي تحطّ من قيمة العمل الأدبي في زمن انحدار اللغة. ولهذا كان يستمد فخامة تراكيبه، وجزالة ألفاظه مما اختزنت في ذاكرته من محفوظاته السابقة لأشعار المتقدمين، ولا سيما المتنبي. والمخزون في الذاكرة يُسْتدعى أحيانا بلا وعي، حتى ليظنّ صاحب ذلك المخزون أنها من صناعته، وهذا أمر طبيعي ولا يعيب.[٤٦]

مفهوم أدب المقاومة عند أيمن العتوم

تحدث أيمن العتوم في الحوار الذي أجرته معه عن أدب المقاومة وذلك عبر غوغل ميت فقال: "أدب المقاومة هو كل أدب شعرا ونثرا ومسرحية ورواية وغير ذلك وأي نوع من الأدب الذي يقف ضد المحتل والذي اغتصب الأرض، فيعني ليس شرطا أن يكون أدب المقاومة خاص بأهل فلسطين، بمعنى أنه يتحدث عن احتلال اسرائيلي وصهيوني لفلسطين؛ فقد يكون أيضا أدب المقاومة في الجزائر والمقاومة في فيتنام، وأفغانستان، وفي أي مكان، والمهم أن ذلك الأدب الذي يعني بأخذ الصمود ومقاومة المحتل ومقارعته وعدم القبول به حتى يتم طرده من الأرض"[٤٧] ويزيد على ذلك فيقول: "نستطيع أن نعدّ امرئ القيس الذي من شعراء الجاهلية على هذا الأساس من شعراء المقاومة، لأنه ثأر لأبيه ضد الذين قتلوه شعرا وسيفا".[٤٨]

وعليه، يمكن القول إن أدب المقاومة ليس محصوراً على فلسطين، بل هو أدب عالمي لا ينتمي لأي بلد أو أمة معينة؛ فكلما كان هناك حرب واضطهاد، ستكون هناك مقاومة في جميع المجالات، فهناك شعراء

---

[٤٥] الصديق بشير نصر، **وهج القناديل: قراءات في أدب الشاعروالروائي أيمن العتوم**، ص٩٢.

[٤٦] المرجع نفسه، ص٨١-٨٢.

[٤٧] صرح بذلك أيمن العتوم نفسه أثناء المقابلة التي أجرتها معه الباحثة أيدا حياتي عبر غوغل ميت، في ٨ يناير ٢٠٢٢م.

[٤٨] موقع **المركز الفلسطيني للإعلام**، "الشاعر الدكتور أيمن العتوم يتحدث عن أدب المقاومة والمشهد الشعري الثائر"، الاسترجاع من https://www.palinfo.com/news/2008/7/14/ في ٢٠٢١/٧/١٦م.

وكتاب مختلفون يعالجون هذه القضية بغض النظر عن الجنسية أو الدين أو اللغة. وترى الباحثتان أن ملامح أدب المقاومة عنده تعد رمزاً لأدب المقاومة في العالم، مهما كانت الخصوصية التي يتصف به، سواء كانت تتعلق بفلسطين، أو تتعلق بأزمات الأمة الكبرى، وحركات التحرر الوطنية فيها.

وعلى صعيدٍ آخر، يشير أيمن العتوم إلى أدب المقاومة وذلك في الحوار الذي أجراه معه "المركز الفلسطيني للإعلام" فيقول: "يجب على كل مثقف عربي أن يحملها ويتبناها. فالمثقفون العرب مطالبون بأن تكون قصائدهم وكتاباتهم موجهة ضد الاحتلال وضد التطبيع، ومع المقاومة ومع رسالة المقاومة. إن قصائد المقاومة تمتاز دائما بأنها تربي عقلية المواجهة عند الشعب، تنمي فيه القوة والاندفاع، تنمي فيه قضية أن معركتنا مع اليهود معركة وجود لا حدود، وأنه صراع عقيدة لا صراع على نفوذ وعلى أرض وعلى ما شابه ذلك."[٤٩] وبناءً على هذه الأقوال ينطلق أيمن العتوم إلى كتابة الرسالة التي يحملها في أدبه رسالة المقاومة، ولا شك أن البيئة الخاصة بالشاعر أسهمت في تشكيل شخصيته الأدبية، وتوجيه فكره السياسي.

وفي جانب آخر، يرى أيمن العتوم أن شاعر المقاومة: "هو الذي يحمل فكرة أمته بإيمان عميق، ويفهم طبيعة الصراع، وهو الذي يملك القدرة على فلسفة المقاومة في مقارعة المحتل، ويستطيع بأدواته الشعرية والفنية أن يلهب الأحاسيس ويثير المشاعر، ويمزج بين الواقع والفن، ويخاطب الجماهير بلسان الواقع، وعين المستقبل، ويكون متصلا بشعبه وجمهوره."[٥٠] لذا، لا غرو عندما نجد أن لكل شاعر بيئة وظروفاً حياتية خاصة به، ومؤثرات نفسية تختلف عن الآخر والتي تنعكس على أبنائها المنتمين إليها، وكذلك لكل عصر معطياته التي تختلف عن العصور السابقة واللاحقة، ومع ذلك فإن كل شاعر يمتلك بصمات خاصة تطبع تصوره للحياة والكون والواقع المعاش، فالقضية الفلسطينية التي كانت تنعكس في الأردن تؤثر في نفسه، ما دعا أيمن العتوم إلى أن يبوح في دواوينه عن المقاومة، والثورة، وجُلّ قصائده عبّر فيها عن حبه للأقصى والقدس.

لذا، يمكن القول إن أدب المقاومة الذي رسمه أيمن العتوم يتميز بخصائص معنية، فهو يرى أن هذا الأدب يفترض ألا يكون مباشراً، يعني لا تظهر لغته بشكل مباشر، ولا تفتح الباب على مصراعيه، فيجب أن يكون فيه رمزية، وإشارة، وإحالة، وفيه أيضا الاتكاء على الموروث، فمثلا أن تتكئ على المقاومة والمقاومين

---

[٤٩] موقع **المركز الفلسطيني للإعلام**، "الشاعر الدكتور أيمن العتوم يتحدث عن أدب المقاومة والمشهد الشعري الثائر"، الاسترجاع من https://www.palinfo.com/news/2008/7/14/ في ٢٠٢١/٧/١٦م.

[٥٠] موقع **فلسطين المسلمة**، "الشاعر أيمن العتوم: شاعر المقاومة هو الذي يحمل فكر أمته بإيمان عميق، الاسترجاع من http://www.fm-m.com/2010/apr/19-3.php في ٢٠٢٢/١/٢٠م.

السابقين الذين قاوموا في فلسطين، بل وفي شتى بقاع الأرض، فنستشهد بهم، ونبرز في أدب المقاومة رموز المقاومة سواء كانوا إسلاميين أو غير إسلاميين، غربيين أو شرقيين[٥١]، وانطلاقا من هذه المبادئ، لا شك أن تفاعل الشاعر مع التراث، واستلهام محاوره الفكرية كانت نتيجة لما أصاب الشعوب من بطش وظلم وقهر، وترى الباحثتان أن أيمن العتوم يتّجه نحو التراث الديني لتسجيل وتحقيق الأسس، والحقائق العقائدية التي تم إرسالها من قبل الأنبياء، فيوضح من خلال هذا التوظيف الوضع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، فعلى سبيل المثال بيته الشعري في ديوان "خذني إلى المسجد الأقصى":

وَاخْلَعْ فُؤَادَكَ بِالوَادِي المقَدَّسِ كَيْ	يُقَبِّلُ الأَرْضَ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ نَهَم
القُدْسُ أَقْدَسُ مِنْ رُوحٍ عَلَى جَسَدٍ	فَقُلْ لِقُدْسِكَ: يَا رُوحِي وَيَا رَحِمِي[٥٢]

يتبين لنا أن التراث الديني يعد أحد الينابيع الهامة لتجربة الشاعر، ففي هذا البيت يستلهم من قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[٥٣]. ليعبر في البيت عن خلع الفؤاد قبل خلع النعل، وهذا يعني المزيد من التقدير والتكريم والتقديس لبيت القدس، فالقدس أغلى وأقدس من روح الإنسان.

ومن أهم الرموز الدينية في دواوينه الشعرية، المسيح، وآدم، وأيّوب، ويعقوب، ويونس، وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم. فيقول أيمن العتوم:

يَا أَصْدِقَاءَ السّجْنِ (يُوسُف) لَمْ يَعُدْ	مُتَحَيِّرًا فِيْ فِتْنَةِ الأَجْسَادِ[٥٤]

استوحى الشاعر من قصة يوسف عليه السلام واستخدم شخصيته رمزاً للتعبير عن تخاذل الإخوة العرب ضد الشعب الفلسطيني، وهذا الرمز فيه تجسيد لآلامه الروحية والجسدية، وشدة المعاناة، لأن الظروف التي يمر بها الشعب الفلسطيني تتشابه مع الظروف التي مرّ بها يوسف عليه السلام. ومن هنا، تظهر قدرة الشاعر على توظيف الرموز الدينية، والكشف عن شيء مجهول بواسطة الرمز في تعبيره، فلا يحتاج المتلقّي إلى جهود كبيرة لفهمها، فصار تعبيراً عن آلام الشعب الذي يكابد ويعاني مرارة الواقع المحيط به.

[٥١] صرح بذلك أيمن العتوم نفسه أثناء المقابلة التي أجرتها معه الباحثة أيدا حياتي عبر غوغل ميت، في ٨ يناير ٢٠٢٢م.
[٥٢] أيمن العتوم، **خذني إلى المسجد الأقصى**، ص٦.
[٥٣] سورة طه، الآية ١٢.
[٥٤] أيمن العتوم، **قلبي عليك حبيبتي**، ص٦٠.

بالإضافة إلى ذلك "تظهر في أدب المقاومة لغة إشارية ولغة مُكثّفة، نحاول أن تكون اللغة بعيدة عن الخطابية والمباشرة، وتأخذ من النماذج السابقة للمقاومين والمناضلين نموذجا". من هنا يتضح لنا أن أديب المقاومة يعبّر عما يشاهده ويشعر به بلغة الانزياحات الفنية والفكرية، وبرؤية شعورية جادة وأصيلة. فاللغة ليست وسيلة للتعبير والتواصل فحسب، بل إنها منظومة رمزية تتضمن رؤية شعب ما للعالم من حوله[٥٥]، وعلى الأديب والكاتب والمثقف أن يتبنى إيقاظ المشاعر الوطنية والقومية من خلال قضايا مجتمعه، لأنه لا يملك إلا الكلمة الصادقة للتعبير عن ذلك، ولهذا يلجأ إلى التناص مع الماضي المجيد ورموزه. فيحاول أيمن العتوم عبر مدونته الشعرية أن يبتعد عن اللغة المعيارية التي لم تقنعه في هذا السبيل لأنها تعجز عن تصوير المعاناة النفسية والشعرية والروحية التي يعيشها.

ومن الواضح أن أيمن العتوم قام بكتابة الشعر الموزون والحر في دواوينه، ولديه مقدرة عالية على تنظيم الإيقاع، فعندما سئل عن هذه القضية أجاب أن "الجيد هو جيّد بمضمونه وأسلوبه بفكره التي يريد أن يوصلها بلغته وبرمزيته وليس بشكله؛ يعني الشعر العمودي والشكل الحر هو من أشكال الشعر، لكن المعوّل عليه هو النص نفسه وليس الشكل، أي مضمون، أي كيف استطاع الشاعر أن يعبر عن هذه الفكرة بهذا الأسلوب. سواء أكان ذلك في طريقه بالشعر العمودي الموزون أم بالشعر الحر. ولكني حقيقة بالنسبة لي، يعني مع تقدم الزمن مع حبي لشاعر كبير مثل المتنبي فصار حبي للشعر العمودي أكثر من حبي للشعر الحر، ولو أنني الآن سأكتب قصيدة في المستقبل القريب، فلا أظن أنني سأكتبها بالشكل الحر، يعني الشكل الحر عندي قناعة بأنه مع الزمان لن يستمر، والسبب أنه هو الشكل نشأ على الشكل الأصلي، وهناك أشكال كثيرة نشأت على الشكل الأصلي مثل المُزدَوَجَات، والمحمّسات، والمُوشّحات، فعلى سبيل المثال شعر الموشحات ساد وانتشر في بلاد المغرب، وبلاد الأندلس ثمانية قرون، ثم انتهى تماماً، ولكن الشعر العمودي ما زال موجودا"[٥٦].

ونجد أن أيمن العتوم يقسم الشعر المقاوم الفلسطيني إلى مراحل، فالمرحلة الأولى هي مرحلة الثورات، وهي الممتدة من بداية الانتداب البريطاني إلى إعلان دولة العدو الصهيوني (١٩٤٨م)، ومن أبرز شعراء هذه

---

[٥٥] خوخة فدياس، **أدب المقاومة رواية "الصدمة لياسمينة خضرا أنموذجا**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (بسكرة: جامعة محمد خيضر، ٢٠١٩م)، ص٢٨. والأصل في: لونيس بن علي، "إدوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية (كيف نؤسس للوعي النقدي؟ دراسة نقدية)، (الجزائر: ميم للنشر، ط١، ٢٠١٨م)، ص ٣٢٥؛ ولكن الباحثتين مع طول البحث لم تعثرا على نسخة من هذا الكتاب إلا أن معلومات هذا الكتاب وجدتاها من خوخة فدياس، "أدب المقاومة رواية "الصدمة لياسمينة خضرا أنموذجا".

[٥٦] صرح بذلك أيمن العتوم نفسه أثناء المقابلة التي أجرتها معه الباحثة أيدا حياتي عبر غوغل ميت، في ٨ يناير ٢٠٢٢م.

المرحلة الشاعر إبراهيم طوقان الذي خاطب الملك فيصل حين جاء لزيارة المسجد الأقصى عام ١٩٣٥م فألقى قصيدة حذر ونبه فيها من سقوط القدس بأيدي اليهود فقال[٥٧]:

المسجد الأقصى أجئت تزوره	أم جئت من قبل الضياع تودعه

وفي المرحلة الثانية فهي المرحلة الممتدة من بعد نكبة ١٩٤٨م إلى نكسة حزيران عام ١٩٦٧م، حيث برز فيها من الشعراء سميح قاسم، وتوفيق زياد، ومحمود درويش. وتجدر الإشارة إلى وجود شعراء من غير فلسطين تميّزوا أيضاً بقصائدهم من أجل فلسطين، منهم هاشم الرفاعي من مصر[٥٨].

"أما الفترة الحديثة، والتي غابت عنها تلك المشاعر التي جيشتها الحروب مع العدو الصهيوني وأصبحنا نعيش في وقت استمات فيه العرب انبطاحا تحت أقدام هذا العدو، فإن روح الإحباط سادت كل شيء ولم يسلم منها الشعر المقاوم. ولكن بعد انتفاضة ١٩٨٧م، فإن روحا جديدة أصبحت تسري في عروق الشعراء، وظهر جيل جديد بنفس مقاوم على طراز عال من الإتقان"[٥٩]. وبناء على هذا يتبين لنا أن هذا الأدب لم ينشأ من فراغ، إنما اتصل بشكل أو بالحركات الشعرية السابقة التي ظهرت في المراحل المختلفة للنضال العربي الفلسطيني.

وعندما سئل أيمن العتوم عن الأحداث الجسيمة التي كان لها تأثير خاص على حياته الأدبية، بيّن بصراحة أنه نشأ على حب فلسطين، وعلى مقاومة المحتل، مع أن أصوله ليست من فلسطين، بل من الأردن. وبالنسبة له فإن البلاد الإسلامية تعتبر بلاداً واحدة، فيجب ألا نسمح لمن احتلها أن يبقى فيها، إضافة إلى أن الأردن أطول خط مع فلسطين، فكثير من المقاومين يعيشون في الأردن، ويذهبون إلى فلسطين ليواصلوا النضال؛ فعلى سبيل المثال يحيى عياش، صار رمزاً من رموز المقاومة. والعكس أيضاً بعض المقاومين الذين أبعدتهم سلطة الاحتلال ربما أبعدتهم إلى الأردن أو غيرها. "إضافة إلى أننا شعب واحد فنجد التمازج بيننا في الأفكار، والتوجهات. وأننا لا نقبل بالمحتل، ولا نَمَل من المقاومة، سواء بالأدب أو بالفعل".[٦٠]

لذلك لا غرو أن دم العروبة الذي يجري في عروقه لم يسمح له بالسكوت ضد الاحتلال الإسرائيلي، فمن خلال دواوينه برز الكثير من ملامح أدب المقاومة، فقد ورث العرب عن أجدادهم الأوائل تراثا وتاريخا وثقافة

---

[٥٧] موقع **فلسطين المسلمة**، "الشاعر أيمن العتوم: شاعر المقاومة هو الذي يحمل فكر أمته بإيمان عميق، الاسترجاع من http://www.fm-m.com/2010/apr/19-3.php في ٢٠٢٢/١/٢٠م.

[٥٨] المرجع نفسه.

[٥٩] المرجع نفسه.

[٦٠] صرح بذلك أيمن العتوم نفسه أثناء المقابلة التي أجرتها معه الباحثة أيدا حياتي عبر غوغل ميت، في ٨ يناير ٢٠٢٢م.

متجانسة ولغة واحدة، فالعلاقة التي ربطت الفلسطيني بالوطن والهوية هي ذاتها التي ربطت الأدباء العرب بفلسطين؛ بوصفها جزءا أصيلا من الأرض العربية، فضلاً عن أن ثقافتهم وتاريخهم هي ثقافة واحدة، فعلاقتهم ليست مجرد علاقة حدود أو جوار بين بلدان متجاورة جغرافيا، فضلاً عن أن عنصر مقاومة العدو المشترك ينبغي أن يوحّد المواقف والجهود لأن مصير العرب واحد.

وهكذا كانت رؤيته لأي أرض عربية، فيولد الأديب في العراق أم في لبنان أم في المغرب، فأصبحت المقاومة عنده وسيلة للدفاع عن الوطن إذا تعرض للخطر الخارجي أو الداخلي، فاستخدم معرفته العميقة بالوضع في العالم العربي لخدمة الشعر والنثر والدفاع عن الأمة المستعمرة، وتشجيع روح الاستقرار والمقاومة. وقد أثبت فخري البارودي أن بلاد العرب هي للعرب جميعا حين أكد أن الهوية واحدة لجميع أبنائها، وذلك في نشيده المعروف "بلاد العرب":

بلاد العرب أوطاني	من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن	إلى مصر فتطوان
فلا دين يفرقنا	ولا حدّ يباعدنا
لسان الضاد يجمعنا	بغسان وعدنان[٦١]

فتنادى الشاعر الأحرار في كل مكان من أرجاء الوطن العربي للوقوف في وجه الدول الاستعمارية، فقامت الثورات المسلحة في كل من مصر والعراق وتونس وسوريا وفلسطين والمغرب والجزائر، فصور الشعر العربي الحديث عن النزعات التحررية أو الأفكار التحررية التي سادت الوطن العربي في العصر الحديث، وكانت هذه الأفكار دعوة لمقاومة الاستعمار لما ارتكبه من جرائم في الوطن العربي بعدما مر به من أحداث وأزمات سياسية واجتماعية متعاقبة منذ أواخر العهد التركي.

الخلاصة

بناء على ما استعرضناه آنفا، ظهر لنا اهتمامه البالغ بالقضايا الاجتماعية والسياسية المختلفة على الصعيدين العربي والإسلامي. ويبدو أن ثقافة أيمن العتوم الدينية قد بدأت تتسرب إلى شخصيته منذ صغره، حيث تربى في أسرة تهتم بثقافة الدين. فحظيت قضية فلسطين على اهتمامه لما لها من مكانة في نفوس المسلمين، كما عالج قضية المسلمين خارج حدود البلاد العربية أيضا. وبالإضافة إلى ذلك، أن

[٦١] حسين جمعة، **ملامح في الأدب المقاوم: فلسطين أنموذجا**، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب)، ٢٠٠٩م، ص٧٨.

الشاعر أيمن العتوم قام بإنتاج كثير من المؤلفات الأدبية، فلقيت دواوينه إقبالا حسنا، وطبع جلها في طبعات عديدة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه قد قدم إسهامات مهمة أفادت المجتمع، فظهرت آراؤه التي تثير اهتمام المجتمع وتشغل الرأي العام في مصنفاته الإبداعية الثرية. ونرى أن ثقافته قد تنوعت تنوعا كبيرا، ولهذه الثقافة أثر مباشر على تشكيل شخصيته، كما أن لها انعكاسا أيضا على إنتاجاته الإبداعية. ولهذا، لم تكن الباحثتان من المبالغين إذا قالتا إن هذا الشاعر قد ترك بصمة مهمة في المسار الأدبي كما أنه أدى الأمانة الأدبية والأدوار العلمية والمسؤولية الاجتماعية تجاه قضايا مجتمعه وأمته بوصفه أديبا مسلما مخلصا.

ومن الملاحظ، أن أدب المقاومة عند أيمن العتوم نوع من الأدب الذي يقف ضد المحتل الذي اغتصب الأرض، وهو الأدب الذي يحمل فكرة أمته بإيمان عميق، ويفهم طبيعة الصراع، ويملك القدرة على فلسفة المقاومة في مقارعة المحتل، ونرى أيضا أنه يستطيع بأدواته الشعرية والفنية أن يلهب الأحاسيس ويثير المشاعر، ويخاطب الجماهير بلسان الواقع، ويمزج بين الفن والواقع، وعين المستقبل، ويكون متصلا بشعبه وجمهوره، وهذا الأدب ليس محصوراً على فلسطين فحسب، بل هو أدب عالمي لا ينتمي لأي بلد أو أمة معينة.

الرسم البياني لمفهوم أدب المقاومة عند أيمن العتوم

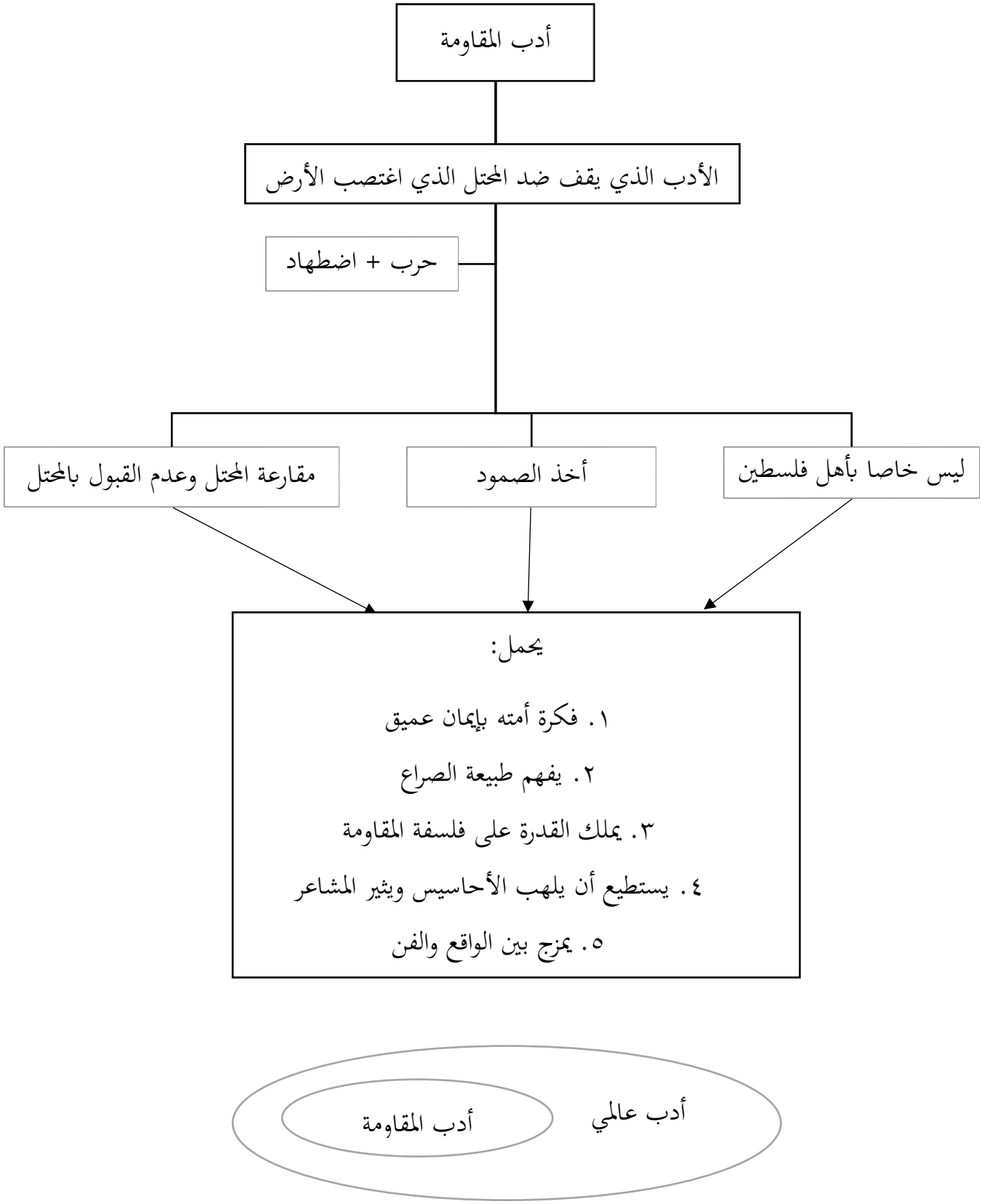

المصادروالمراجع

الجدع، أحمد. (١٩٩٩م). **معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين**. عمان: دار الضياء للنشر والتوزيع، ج١.

العتوم، أيمن. (٢٠١٤م). **خذني إلى المسجد الأقصى**. ط٣. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

العتوم، أيمن. (٢٠١٣م). **يا صاحبي السجن**. ط٢. عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع.

العتوم، أيمن. (٢٠١٣م). **قلبي عليك حبيبتي**. ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

العتوم، أيمن. (٢٠١٦م). **نبوءات الجائعين**. ط٣. عمّان: دار الفارس للنشر والتوزيع.

علي،كواري. **مظاهر أدب المقاومة في ديوان نبوءات الجائعين لأيمن العتوم**، Scientific Algerian Journal Platform 2019/(03)11، ص٣٣-٥٨.

فارساني، عباس يداللهي. (٢٠١٩م). استدعاء الرموز في شعر "أيمن العتوم"، **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، ج١١، العدد ٠٢ ص ٦٢-٧٠.

محمد فايز، قصي. (٢٠١٩م). صورة اليهود في الشعر الأردني المعاصر (ديوان "خذني إلى المسجد ا لأقصى" لأيمن العتوم أنموذجا). المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث

في ٢٠٢٠/١١/٢٢ /https://www.mecsj.com العلمية والتربوية، العدد السابع عشر. الاسترجاع من

موقع المركز الفلسطيني للإعلام، "الشاعر الدكتور أيمن العتوم يتحدث عن أدب المقاومة والمشهد الشعري الثائر". الاسترجاع من http://www.palinfo.com/2008/14/07 في ٢٠٢٠/١٢/٣ .

موقع Arageek، من هو أيمن العتوم، الاسترجاع من https://www.arageek.com/bio/ayman-otoum في ٢٠٢١/٧/٩م.

نصر، الصديق بشير. (٢٠١٩م). **وهج القناديل: قراءات في أدب الشاعر والروائي أيمن العتوم**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

هلال حجي، هالة مفيد. (٢٠١٩م). **الصورة الشعرية عند أيمن العتوم دراسة تحليلية**. رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب، غزة: الجامعة الإسلامية.

يداللهي فارساني، عباس.الأنماط التراثية في شعر أيمن العتوم (ديوان خذني إلى المسجد الأقصى نموذجا). **(دار المنظومة-قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة الشهيد جمران- الأهواز). المجلد**١٠، العدد ٣٨، ٢٠١٩م، ص١٤٥-١٦٦.

يونس، أمل. (٢٠١٩م). **شعرية السرد في روايات أيمن العتوم**. رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب، غزة: الجامعة الإسلامية.